ملخص خطبة الجمعة

27/١٠/٢٠٢٣م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

يتابع حضرته نصره الله تعالى بيان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

نصيحة النبي ﷺ لابنته وصهره بأداء صلاة التهجد:

يقول عليٌّ كرم الله وجهه إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ الزهراء بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ أَلَا تتهجدان؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

نتعلم من هذا الحديث أمورا كثيرة:

- أولا: يتضح كيف كان النبي ﷺ كان كثير الانتباه إلى تنوير أقاربه بنوره الذي كان يريد أن ينور به العالم. فكان يهتمّ بذلك ويتفقد حالة أقاربه ويفحصهم أيضا.
- الأمر الثاني الذي يتبين هنا هو أن ذهاب النبي ﷺ في هذا الوقت، وترغيبه ابنتَه وصهره في صلاة التهجد يدل على يقينه الكامل بصدق تعليم كان يريد من الناس أن يعملوا به. وإلا فالمفتري الذي يعلم أن العمل بهذا التعليم وعدمه سيان لا يمكنه أن ينصح أولاده للعمل به في السر والخفاء. فهذا لا يمكن حدوثه إلا إذا كان قلب المرء مليئا باليقين أن الكمالات لا تُنال إلا بالعمل بهذا التعليم.
- الأمر الثالث هو ما نُقلتْ هذه الرواية لإثباته وهو أن النبي ﷺ كان ينصح دائما بهدوء كامل ويُطلع الناس على خطئهم بالحب والتودد بدلا من المجادلة. يقول عليٌّ ﷺ أنه لم تفتْه صلاة التهجد بعد ذلك.

يجب أن نتذكر هذه الواقعة للانتباه إلى صلاة التهجد وخاصة على الدعاة وواقفي الحياة والمسؤولين في الجماعة، إنها أدعية الليالي التي تجلب أفضال الله أكثر وثمة حاجة لها في هذه الأيام خاصة لإنقاذ العالم من الدمار.

غزوة بني قينقاع

حدثت في العام الثاني للهجرة، وقد ورد في سيرة خاتم النبيين عن غزوة بني قينقاع:

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كانت تسكنها ثلاثة قبائل يهودية وهي: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. وفور مجيئه إلى المدينة أبرم النبي ﷺ مواثيق الصلح والأمن مع هذه القبائل وبذلك وضع أساس العيش المتبادل بالأمن والصلح. وبحسب الميثاق كان الفريقان مسؤولان عن إقامة الأمن والسلام في المدينة، وعن التصدي معا للمهاجم إذا هاجم المدينةَ عدوٌّ من الخارج. في البداية التزم اليهود بالميثاق و لم يخاصموا المسلمين في الظاهر على الأقل. ولكن لما رأوا أن المسلمين حائزون على قوة أكثر في المدينة تغير سلوكهم، وعزموا على إيقاف قوة المسلمين

المتزايدة. ولهذا الغرض استخدموا كل كيد وحيلة لدرجة لم يدخّروا جهدا في خلق الفُرقة بين المسلمين وخلق أجواء الحرب الأهلية فيهم.

فقد ورد في رواية أن رجالا كثيرين من قبيلة الأوس والخزرج كانوا جالسين معا بمناسبة ويتحدثون فيما بينهم بالحب والوئام، فوصل إلى المجلس بعض الفتانين من اليهود وشرعوا بذكر حرب البعاث. علما أن هذه الحرب كانت خطيرة جدا نشبت بين القبيلتين المذكورتين قبل الهجرة ببضعة أعوام وقُتل فيها عدد كبير من الأوس والخزرج. فبذكر هذه الحرب حيِيَت ذكرياتها في قلوب بعض الناس المتحمسين ودارت أمام أعينهم مشاهد العداوة السابقة. فكانت النتيجة أن الحديث تجاوز النزاع اللفظي وتبادل الطعن ووصل إلى سلِّ السيوف بين المسلمين في المجلس نفسه. لكن النبي ﷺ لحسن الحظ اطلع على الوضع قبل فوات الأوان، فسارع إلى مكان الحادث مع جماعة من المهاجرين وهدّأ الفريقين ثم لامهم قائلا كيف تعودون إلى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم ولا تقدرون نعمة الله عليكم إذ جعلكم بالإسلام إخوانًا. فتأثر الفريقان من الأنصار بنصحه حتى سالت الدموع من عيونهم فتابوا عن سوء تصرفهم وتعانقوا.

بعد معركة بدر التي كتب الله فيها بفضله للمسلمين، اشتعل يهود المدينة حسدا وكمدا، وبدأوا ينازعون المسلمين علنًا، فورد في رواية أن النبي ﷺ بعد عودته من معركة بدر إلى المدينة جمع اليهود ذات يوم ونصحهم وقدم لهم دعواه ودعاهم إلى الإسلام. فردّ رؤساء اليهود على هذا العرض الذي ملؤه السلم والمواساة بأن قالوا: "يا محمد لا يغُرّنّك قتلُك بعضا من قريش، لقد قهرتَ قوما لا خبرة لهم بالقتال، وإنا والله لئن قاتلناك لتعلمنّ كيف يكون المقاتلون.

و لم يكتفِ اليهود بالتحديات الشفوية العامة، بل يبدو أنهم بدأوا يخططون لاغتيال النبي ﷺ، فقد ورد في رواية أن الصحابي المخلص طلحة بن البراء، الذي كان مريضًا في تلك الأيام، عندما شعر باقتراب أجله أوصى أنه لو توفي خلال الليل فلا يخبروا النبي ﷺ بوفاته مخافة أن يخرج لصلاة الجنازة عليه وقت الليل فيتعرض على يد اليهود لحادث لا يحمد عقباه.

بدأ اليهود بعد معركة بدر ينشرون الشر علنا. وكانت بنو قينقاع أقوى وأشجع القبائل اليهودية في المدينة، فأخذت زمام المبادرة في مخالفة بنود الاتفاقية. وفي نهاية المطاف تسببوا في أول صراع بينهم وبين المسلمين و لم تسَعْ صدورهم ما تُكنّه من عداء للمسلمين. وبيان ذلك أن إحدى المسلمات ذهبت إلى السوق لشراء شيء من متجر يهودي، فقام بعض أشرار اليهود الذين كانوا في المحلّ بإغاظتها بخبث وقام صاحب المحل نفسه بعقد الجزء الأسفل من ثوبها إلى ظهرها أثناء انشغالها بالتسوق. وبعد أن رأت منهم خبثهم قامت لتخرج من المحل فانكشف جسدها السفلي. فانفجر صاحب المتجر وأصحابه بالضحك. فصرخت من شدة الحياء واستغاثت. فهُرِعَ لمساعدتها مسلم كان قريبا من المكان بالصدفة، وحصل القتال وقُتل صاحب المتجر اليهودي، فوقعت على المسلم الغيور سيوف اليهود من كل طرف وصوب فوقع صريعا في مكانه.

فلما علم المسلمون ثارت حميتهم وغضبوا غضبا شديدا، واحتشد اليهود الذين كانوا يريدون أن يتذرعوا بهذا الحادث للقتال، وأصبح الوضع خطيرا. ولما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ دعا زعماء بنو قينقاع ونبّههم على سوء تصرفهم ونصحهم بمخافة الله والكف عن الشر. ولكنهم بدلاً من أن يتأسفوا ويندموا ويطلبوا العفو ردوا عليه بغطرسة وتمرد، وكرروا تحديهم السابق بأن لا يغترّ بانتصاره في بدر، وأنه سيعلم عند اشتباكه معهم كيف يكون المقاتلون. فاضطر النبي ﷺ للمسير إلى حصون بني قينقاع مع جماعة من الصحابة. فاحتموا بقلاعهم، فحاصرهم النبي ﷺ واستمر الحصار لأسبوعين، وفي نهاية المطاف كسرت كبرياؤهم ولم يعودوا قادرين على الصمود، فاستسلموا وفتحوا أبواب حصونهم بشرط أن أموالهم للمسلمين ولكن لا حق لهم على أنفسهم وأهليهم. فوافق النبي ﷺ على شروطهم، مع أنهم كانوا يستوجبون القتل وفقًا للشرع الموسوي، فخرجت قبيلة بنو قينقاع بسلام وأمان من المدينة وذهبوا ناحية الشام. وأمر النبي ﷺ الصحابي عبادة بن الصامت، الذي كان أحد حلفاء هؤلاء اليهود، بالإشراف على ترتيبات إجلائهم، فرافقهم في سلام وأمان لعدة مراحل ثم عاد إلى المدينة. والغنائم التي وقعت في أيدي المسلمين لم تكن سوى أسلحتهم وأدوات مهنتهم وهي الصياغة.

ثم ذكر حضرته أبناء الجماعة بضرورة الدعاء في ظل الأوضاع الراهنة للعالم. إن عدد الشهداء من النساء والأطفال الفلسطينيين الأبرياء يتزايد نتيجة للحرب بين حماس وإسرائيل. إن ظروف الحرب تشتد بسرعة، ويترشح من السياسة التي تتبعها حكومة إسرائيل والدول الكبرى أن الحرب العالمية تلوح في الأفق الآن. لقد بدأ زعماء بعض الدول الإسلامية أيضًا يقولون كذلك علنًا الآن، كما بدأت تقول روسيا والصين، وأصبح المحللون الغربيون أيضا يقولون ويكتبون بأن نطاق هذه الحرب آخذ في الاتساع الآن.

بالإضافة إلى الدعوات اسعوا جاهدين لأن تنشروا فيمن حولكم أنه ينبغي إيقاف الظلم. إذا كان لأي أحمدي علاقة بشخصية بارزة فليشرح له ذلك. هذه هي الشجاعة، وهذا هو مقتضى العمل بأمر الله تعالى.

يقول ممثلو الحكومة الإسرائيلية إن حماسا قتلت أبرياءنا، وسوف ننتقم، ولكن هذا الانتقام قد تجاوز كل الحدود الآن. لقد زادت الخسائر في أرواح الفلسطينيين أكثر من أربعة إلى خمسة أضعاف مما حصلت في أرواح الإسرائيليين وفق ما تم التصريح عنه. إذا كان هدفهم هو القضاء على حماس، كما يقولون، فليقاتلوها وجهًا لوجه، لماذا يستهدفون النساء والأطفال وكبار السن؟ ولماذا يحرمون هؤلاء من الماء والغذاء والعلاج. إن جميع ادعاءات الدول الغربية المتعلقة بحقوق الإنسان ومبادئ الحروب تتبخر وتتلاشى بهذا الشأن

على كل حال علينا أن نهتم بالدعاء كثيرا، ونبذل الجهود في محيطنا لإنهاء الظلم ونركز على الدعاء أيضا. يجب أن ندعو الله تعالى للإفراج عن المسلمين المظلومين، وللحكومات الإسلامية أيضا بأن يوفِّقها الله لتخطيط خطة شاملة ودائمة، آمين